المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية | المجلد 5/ العـــدد التسلسلي: 9 (2020)، ص 33- 51

"أوغسطين تاغست" : الفيلسوف اللاهوتي صاحب التأثير العالمي
(دراسة إستقرائية تحليلية في الفكر الأوغسطيني)

"Augustine of Tagast" : The Theologian Philosopher, and His Global Impact
(An Analytical Inductive Study in the Augustinian thought)

د/ إلياس بن عبد الله دكار

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

idekkar04@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2018/04/02 تاريخ القبول: 2018/07/06 تاريخ النشر: 2020/10/31

الملخص:

يعتبر الفيلسوف المعروف ورجل الدين الشهير في المسيحية من أصول شمال إفريقية، "أوريليوس أوغيستينيوس (354م – 430 م)" من أشهر الفلاسفة المؤثرين في تاريخ الفكر الإنساني على الإطلاق والفكر السياسي المسيحي الكاثوليكي على الخصوص، لذلك كان من الطبيعي أن يكون نصيبه من الدراسات الأكاديمية المعتنية بفكره هائلا لمكانته ألرفيعة ولكونه قد انفرد بالسيطرة على العقل الغربي لقرون عديدة حتى زاحمته في هذه السيطرة العقلانية المشائية المؤمنة؛. كان لأوغسطين الأثر الكبير في الفكر الغربي والفكر الإنساني فهو منظر التاريخ المسيحي، ومؤسس الكنيسة اللاتينية ومصدر الثقافة الفلسفية في بداية العصر الوسيط وعصر النهضة، كما حدد معايير الفصل بين السلطة الروحية والزمنية.

الكلمات المفتاحية:

أوغسطين؛ تاغست؛ السيرة الذاتية؛ فلسفة اللاهوت الديني؛ فلسفة التاريخ؛ الفكر السياسو–لاهوتي؛ الفكر الأوغسطيني؛ التأثير العالمي

Summary:

The well-known philosopher and famous cleric in Christianity of North African origins, "Aurelius Augustinius (354 AD - 430 AD)" is considered one of the most famous influential philosophers in the history of human thought at all, and Catholic Christian political thought in particular, so it was natural that his share of academic studies Caring for his idea tremendously for its high position and for being the only one controlling the Western mind for many centuries until it crowded it into this believing, peripheral rational control; Augustine had a great influence on Western thought and human thought, as he is the theorist of Christian history, the founder of the Latin Church and the source of philosophical culture in the early Middle Ages and the Renaissance, and he also defined the criteria for separating spiritual and temporal authority.

key words :

Augustine; Tagst; Biography; Philosophy of religious theology; Philosophy of history; Political-theological thought; Augustinian thought; Global impact

المقدمة:

يعتبر الفيلسوف المعروف ورجل الدين الشهير في المسيحية من أصول شمال إفريقية، "أوريليوس أوغيستينيوس (354م – 430 م)" من أشهر الفلاسفة المؤثرين في تاريخ الفكر الإنساني على الإطلاق والفكر السياسي المسيحي الكاثوليكي على الخصوص، لذلك كان من الطبيعي أن يكون نصيبه من الدراسات الأكاديمية المعتنية بفكره هائلا لمكانته ألرفيعة ولكونه قد انفرد بالسيطرة على العقل الغربي لقرون عديدة حتى زاحمته في هذه السيطرة العقلانية المشائية المؤمنة؛ التي أرساها كل من ألبرت الكبير وتوما الإكويني في القرن الثالث عشر.

وبالرغم من هذه المنافسة فمازالت بعض مفاهيم بل وبعض نظريات أوغسطين تسيطر على العقل الغربي الذي يدعي "خلاصه" من قبضة المسيحية ومنظرها الأعظم. لذلك يعتبر أوغسطين شخصية جزائرية ذات بعد إنساني عالمي، جاءت بإضافات في الفكر الديني والفلسفي؛ إذ لم يكن يرى أي تعارض بين فلسفة أفلاطون والمسيحية، لكنه عارض النظرية الدورية لأفلاطون، وجاء بفكرة حركية التاريخ، معتبرا أن التاريخ في حركية دائمة من بداية الخلق إلى نهايته.

كان لأوغسطين الأثر الكبير في الفكر الغربي والفكر الإنساني فهو منظر التاريخ المسيحي، ومؤسس الكنيسة اللاتينية ومصدر الثقافة الفلسفية في بداية العصر الوسيط وعصر النهضة، كما حدد معايير الفصل بين السلطة الروحية والزمنية.

لذلك اختلفت وتنوعت الاولويات في دراسة شخصية أوغسطين من بلد الي أخر وذلك بسبب تأثير فكره الديني والفلسفي ومواقفه الشخصية حول القضايا الاجتماعية.

وسبب إختياري لهذا الموضوع هو: أن القديس أوغسطين يعد أحد أهم اللاهوتيين المسيحيين الذين تعدت أفكارهم القرون الوسطى وأثرت في مختلف مراحل التاريخ الفكري المسيحي في الشرق والغرب قبل التنوير وبعده، وقد امتاز أوغسطين –بالإضافة إلى تجربته الدينية الفريدة التي تقلب فيها من المانوية إلى المسيحية– بأنه استوعب كثيرا من قضايا الفلسفية اليونانية وكتابات المفكرين الرومان.

وليس من المفاجئ القول بأن كتاباتنا الإسلامية ما تزال مشغولة بالكتابات الجدلية والردود والرغبة في الإفحام وإقامة الحجة أكثر من رغبتها باستيعاب الأفكار الدينية المقابلة في مهادها الطبيعي ولذلك بقيت حتى يومنا غير مستوعبة لبعض أهم مفاصل الفكر اللاهوتي المسيحي، ناهيك عن غيره من الأديان والأفكار الكبرى في تاريخنا الإنساني لذلك اعتمدت مناهج التحليل والنقد والمقارنة في دراسة فكر أوغسطين، وبيان تأثيره الواسع عبر فلسفة التاريخ واللاهوت التاريخي بشقيهما وتأثيره على سياسات المراكز الدينية العالمية للحوار والتعايش.

أما فيما يخص بعض الدراسات السابقة التي اعتنت بهذا الفيلسوف الجزائري "التاغستي" فهي كالآتي:

- Saint Augustine of Hippo: Selections from Confessions and Other Essential Writings–Annotated and Explained, And
- What Are They Saying About Augustine by Joseph Kelley.
- Augustine of Hippo–On the Trinity, by The Fishers of Men Ministries.
- تاريخ اللاهوت عند القديس أوغسطين، الخضيري زينب محمود.

فمن هو القديس "أوغسطين تاغست"؟ ما هي التحولات الفكرية الكبرى في حياته؟ فيما تتجلى فلسفته التاريخية واللاهوتية؟ وما هي أبعاد فكره الإنسانية؟ وماهي أشهر الحركات الأوغسطينية و من كتب عنه؟

كل هذا سنحلله في هذه الدراسة المتعلقة "بأوغسطين تاغست".

المحور الأول: "السيرة الذاتية والتحولات الفكرية الكبرى لدى أوغسطين"

أولا- التعريف بمدينة "تاغست"

سوق أهراس(بالتيفيناغ) ⵙⵓⵇⴰⵀⵔⴰⵙ:و بالفرنسية (**Souk Ahras**): هي مدينة جزائرية تلقب بسوق الأسود لأن المدينة في السابق كانت تحوي سوقا مهمة لتجارة الأسود. يطلق عليها الأمازيغ اسم طاغاست، وهو اسمها الأمازيغي القديم. اشتقت تسمية مدينة سوق أهراس، من الكلمة الأمازيغية "منكت" (أهراس) "□□□□" جمع (أهرا) والتي تعني الأسود بالعربية، على اعتبار أن المنطقة كانت تعيش فيها وإلى عام 1930 الأسود البربرية والتي كانت تتخذ من غاباتها عرينا لها.

الاسم القديم للمدينة النوميدية طاغاست، مستمد من كلمة طاغوست الأمازيغية التي تعني الحقيبة، نظرًا لموقع المدينة على سفح جبل محاط بثلاث قمم على شكل حقيبة تحتوي على المدينة. في وقت لاحق، عندما دخلت اللغة العربية إلى المنطقة صارت تسمى سوقارا. في مصادر أخرى ذكرت باسم قصر الأفريقي، وفقا للمسعودي.

تعتبر المدينة النوميدية طاغست من أهم مدن نوميديا الشرقية، وهي أقدم مملكة أمازيغية تأسست شرق الجزائر الحالية على يد الملك (زالالسان) في القرن الثالث قبل الميلاد. يعود تاريخ سوق أهراس إلى تلك الحقبة. طاغاست التي قامت على أطلالها سوق أهراس، كانت تقع في المرتفعات الشمالية الشرقية لنوميديا،

وقد أصبحت بعد ذلك، جزءاً من الجمهورية الرومانية. وكانت تقع على بعد 100 كم من هيبون، المسماة الآن عنابة، وعلى بعد نحو 230 كم من قرطاج (على الساحل التونسي). وكانت مسقط رأس العديد من القادة العسكريين أمثال تاكفاريناس والمفكرين أمثال القديس وأبوليوس صاحب أول رواية في التاريخ ومكسميوس العالم بقواعد اللغة اللاتينية وغيرهم.

ثانيا- المولد والنشأة وأهم التحولات الفكرية الكبرى لدى أوغسطين

1- المولد والنشأة

وهذه نبذة تعريفية بسيطة عن حياة أوغسطين؛ فمعنى إسمه "الملك الصغير" ولد بشمال إفريقية [13 نوفمبر 354-28 أوت 430] بسوق أهراس (تاغست سابقا) من أم ذات أصول أمازيغية وعقيدة مسيحية تدعى "مونيكا"، وأب وثني ذو أصل إفريقي لاتيني يدعى "باتريس". درس النحو في "تاغست"، والفنون الحرة في "مداوروش" والخطابة في "قرطاجنة" سنة 370م وهو ابن الحادية عشر من عمره. عاش شابا مضطربا، جرب عدة مذاهب عقلية ودينية منها المانوية، حتى صيف 386م، أين تعرف على الأسقف "أمبروزيوس" في "ميلانو" وتأثر بمواعظه، كما تأثر بسيرة القديس "أنطونيوس الكبير" فقرر حينها أن يعتنق المسيحية ويدخل في سلك الكهنوت. ألف الكثير من المواعظ والتأملات الدينية التي وصلنا منها؛ 500 موعظة، و200 رسالة.

من أهم مؤلفاته: "مدينة الله" و "الإعترافات" وهي أول سيرة ذاتية في الغرب، لا تزال مقروءة في شتى أنحاء العالم.[1]

2- مراحل التطور الفكري لدى أوغسطين

حياة أوغسطين مرآة للتطور الفكري الذي مر به والذي جعله يتحول عن السعي للعلم والفلسفة إلى الشغف بالحكمة وحدها لذا ليس أمامنا إلا تتبع تطور أوغسطين الفكري الذي انتهى بمرحلة الشغف بالحكمة المسيحية[2] وعمله في مجال الكهنوتية وهذه المراحل هي كالآتي:

المرحلة الأولى: من بداية دراسته إلى غاية اعتناقه للمانوية

1- إهتمامه بالبلاغة: كان أوغسطين منذ طفولته مهتما بتعلم البلاغة وأدواتها فأتقنها في "قرطاجنة" حتى أصبح معلما لها ومحاضرا فيها، ورغم نشأته المسيحية على يد أمه إلا أنه خذلها تاركا المسيحية، واختار اعتناق الديانة المانوية، وسبب اعتناقه لها؛ أنه كان منساقا للشهوات حيث كان على علاقة بامرأة أنجبت له ولدا خارج الزواج سماه "ابن الخطيئة"[3]، ثم تركها وذهب يبحث عن الحقيقة.

2- حدث أن صادف كتابا "لشيشرون" تحت عنوان: "هورتنسوس" أو "Hortensius" وهو كتاب مفقود أثر في نفسه أبلغ تأثير، إذ أوقد في عقله حب الحقيقة الخالدة والحكمة الدائمة. لأن هذا الكتاب كان يدافع عن الفلسفة ويمتحنها بوصفها النشاط العقلي الوحيد القادر على إرشاد الإنسان للسعادة الحقة المتمثلة في اللذة العقلية لا في اللذة المادية.[4]

3- وجد أوغسطين نفسه في مذهب المانوية، ووجد فيه ما يرضي نوازعه فيه بحيث: استطاع أن يفسر جانب الرذيلة والشهوة، وفيه وجد نزعة عقلية لم يجدها في المسيحية التي لقنته إياها أمه "مونيكا". وأولع بعلم النجوم لأنه وجد فيها ما يحرره من المسؤولية عن رذائله ويلقيها على عاتق النجوم والأفلاك.

وفي سن السابعة والعشرين ألف أول كتبه، وهو رسالة في "الجميل والملائم"، فيه استلهم مذهب المانوية، ثم بدأ يشك في صحة هذا المذهب، وفي استقامة رجاله، لكنه بقي فيه مستعينا برجاله لقضاء حاجاته.[5]

المرحلة الثانية: تحوله إلى المسيحية واعتناقها

سافر أوغسطين إلى روما بدعوة من بعض أصدقاءه المانوين، ثم علم أن "ميلانو" في حاجة إلى معلم للخطابة فحصل عليه بوساطة من أصدقاءه، فسافر إليها. وهناك حصلت المفارقة الفكرية؛ حيث زار أسقف "ميلانو" (القديس أمبروزيوس) وحرص على سماع مواعظه لما فيها من بلاغة ولمقدرة "امبروزيوس" على تأويل أقوال "العهد القديم" من الكتاب المقدس، فقرر ترك المانوية.[6] ثم قرأ الكثير عن الأفلاطونية المحدثة، في صيف 386م وبعد قراءته لسيرة القديس "أنطونيوس الكبير" تأثر بها تأثرا كبيرا و قرر أخيرا إعتناق المسيحية، وبين سبب اعتناقه للمسيحية في كتابه "الإعترافات"؛ بأنها ديانة لها أربع علامات صادقة:

I. أنها تحقق تنبؤات العهد القديم.
II. أنها تمثل الكمال الروحي.
III. أنها تصنع المعجزات.
IV. أنها انتشرت بالرغم من المقاومة الكبيرة التي واجهتها.[7]

المرحلة الثالثة: المرحلة الكهنوتية

ثم دخل أوغسطين سلك الكهنوت حيث عمد على يد "أمبروزيوس"، ثم حين توفيت أمه وابنه عاد إلى "تاغست" سنة 388م. وقام بتأسيس دير هناك، وفي عام 391م تم تنصيبه كاهنا لإقليم "هيبو" واصبح واعظا مشهورا. حارب المانويين أشد محاربة، وتحول من التفكير الفلسفي إلى التفكير اللاهوتي، وتحول من اهتمامات

النخبة المنعزلة عن الناس إلى الإهتمام بالناس والدفاع عن المعتقدات بالتي يؤمن بها (إذ أصبح يحيا ويعمل من أجل شعبه المسيحي أكثر مما يحي من أجل الفكر الفلسفي).[8] وفي سنة 396م عين أسقفا لهيبون وبقي في هذه الوظيفة إلى غاية وفاته سنة 430م.

3- أشهر الآثار التي تشهد عليه اليوم

أ- شجرة الزيتون المطلة مثل "منارة" من أعلى هضبة زاوية "سيدي مسعود" دليل حبه للحياة والبئر المحاذية لها برهان تمسكه بها لا تزال شجرة زيتون "سانت أوغسطين" تحتل ومنذ أجيال عديدة مكانة هامة في قلوب وذاكرة السوقهراسيين وحتى لأناس من وراء البحار وهي الشجرة التي تم اكتشافها من طرف بعثات فرنسية العام 1843 وتمثل اليوم عنوانا لهبة الله خاصة وأنه على الرغم من عدم رعايتها وزبرها إلا أنها دائمة الاخضرار والنمو.

وفضلا عن ذلك، فإن هذه الشجرة التي تعتبر رمزا للسلام والوئام ولطول العمر والأمل والوفاء تمثل فعلا رمز لسوق أهراس وروح هذه المدينة التاريخية التي أعطت الكثير للحضارة البشرية حيث منحت هذه المدينة التي تعايشت فيها الأديان البشرية بأكملها.

ب- كنيسة هيبون تعد كنيسة القديس أوغستين المطلة من فوق ربوة على الميناء و البحر و كذا على السهل جنوبا إحدى أبرز المعالم المعمارية لهيبون(عنابة) القديمة.

و تعتبر هذه الكنيسة ذاكرة مدينة أوغسطين الذي كان أسقف هيبون من 395م إلى غاية وفاته العام 430م إحدى المعالم الثقافية الثمينة و إحدى رموز الحوار الإسلامي المسيحي.

4- أهم الكتب التي ألفها

أوغسطين كاتب قدير ومؤلف جدير، ترك عدة مؤلفات مهمة جدا في التاريخ المسيحي والفلسفي واللاهوتي وهي كالآتي:

أ- الاعترافات (Confessions): تشتمل الاعترافات على 13 كتابًا كتبه أوغسطين سنة 400م وفيه سيرة حياته، ومسار فكره وطريقة رجوعه إلى الله.

ب- مدينة الله (City of God): كتبها أوغسطين في حقبة مأساوية من تاريخ أوروبا ذلك أن روما سقطت في سنة 410 م بيد البربر.

كان كتاب "مدينة الله" ردًا، (بناء على طلب أحد أصدقائه) على هذا التحدي الوثني.

شرع أوغسطين يكتب "مدينة الله" منذ سنة 413م إلى 426م، فجاء عملًا ضخمًا في قسمين من اثنتين وعشرين مقالة، ويحتوى على الكثير من آرائه السياسية والاجتماعية، ولاسيما فلسفته التاريخية.

ج- **الرسائل:** ذكرت بعض المصادر أن لأوغسطين 159 رسالة.

د- **كتب في الرد على المخالفين**

- الأريوسيين: جاء في إحدى المراجع أن أوغسطين كان له دور في الرد على الأريوسيين.
- كتابات ضد ماني Mani (ثماني كتب).
- كتابات ضد الدوناتست (ثلاث كتب).
- كتب ضد البلاجيين (ثلاث عشر كتاب).

هـ- **كتب في العقائد**

- العقائد المسيحية: كتب أوغسطين ثلاث كتب في العقيدة المسيحية.
- بحوث عقائدية (سبع كتب).
- المناجاة

و- تفسير الكتاب المقدس (ستة كتب).

المحور الثاني: "فلسفة اللاهوت الديني وفلسفة التاريخ في كتابات أوغسطين"

وفيه نرى كيف أنه تعامل مع التاريخ بشكل خاص فهو يتخذ من العقيدة مصدر لتفسير التاريخ ويتخذ من التاريخ دليل على صدق العقيدة، وهو يتعامل انطلاقا من تلك المعايير في انه يفهم التاريخ على انه ظاهر وباطن فالتاريخ الظاهري هو رمز للتاريخ الباطن والتاريخ الباطن او المقدس يفسر التاريخ الظاهري، لهذا اعتمد هذا التصور في إثبات الحقيقة التاريخية وهي أن كل علم خادم للاهوت ويشمل هذا المحور مايلي:

أولا- فلسفة اللاهوت الديني في كتابات أوغسطين

وفيه نرى كيف أنه تعامل مع التاريخ بشكل خاص فهو يتخذ من العقيدة مصدرا لتفسير التاريخ ويتخذ من التاريخ دليلا على صدق العقيدة، وهو يتعامل انطلاقا من تلك المعايير في أنه يفهم التاريخ على أنه ظاهر وباطن فالتاريخ الظاهري هو رمز للتاريخ الباطن والتاريخ الباطن أو المقدس يفسر التاريخ الظاهري، لهذا اعتمد هذا التصور في إثبات الحقيقة التاريخية وهي أن كل علم خادم للاهوت ويشمل هذا المحور عدة نقاط هي:

أ- الله والقانون الطبيعي

الله هو خالق الطبيعة ومبدعها، ونحن نعبد الله من دون السماء والأرض، الجزأين الذين يكونان العالم؛ ولا نعبد النفس ولا الأنفس المنتشرة في كل الأجساد الحية، بل نعبد الله خالق السماء والأرض وكل ما فيها؛ إنه الخالق لكل نفس أيا تكن.

ونستعرض أعمال الله، الأحد، الحق، التي صنع منها أولئك الآلهة الكثيرون الكذبة، محاولين إضفاء معنى ما هو مقبول على أسرارها المرذولة؛ ونحن نعبد هذا الإله الذي يرسم إلى الطبائع أصولها، هو خالقها ومبدئها وغاية حركتها ومداها في الزمن.[9]

والأسباب الطبيعية هي سنن عناية الله التي لا تنفصل عن الله خالق الطبيعة وسيدها"، فلسنا نفصلها عن ارادة الله خالق الطبيعة وسيدها ".[10]

فالعناية الإلهية هي التي توجه الأسباب بكافة أشكالها، "العناية التي تأمر العلل الأولى والثانوية".[11]

وفي الوقت الذي يرفض فيه أوغسطين معتقدات الرومان عن كسوف الشمس لأنه ضد نواميس الطبيعة فإنه يؤكد حدوث الكسوف يوم الفصح.[12]

ويرفض أوغسطين القول بأن الكون جزء من الله لأن هذا لا يليق بالله.[13] وربما يشير رفض أوغسطين لهذه العقيدة إلى نوع من الفصل بين الطبيعة المخلوقة وطبيعة الإله الخالق، الأمر الذي يؤثر في فهم القوانين الطبيعية وأحداث التاريخ.

كما يمكن فهم رفض أوغسطين لعقيدة وحدة الوجود بأنه ينطوي على رفضه لعبادة الطبيعة دون عبادة الخالق الذي يقوم بتدبير شؤونها.[14]

فالله هو مبدأ كل ما في الطبيعة؛ لكنه ليس الطبيعة ذاتها "إنه مبدأ كل إيلاد طبيعي، أيا كان نوعه وثمنه...خلق الجسد بما هو عليه...هو الذي وهب النفس غير العاقلة الذاكرة والحس والقابلية، ووهب العاقلة العقل والحرية...فهل يعقل أن يكون ترك ممالك البشر ورؤساءهم وخدمهم خارجا عن سنن عنايته".[15]

ب- الآلهة والقانون الطبيعي

يذهب القديس أوغسطين إلى أن الأصنام الهالكة لا يمكن لها أن تضمن للمدن ديمومة فوق الأرض ولا تستطيع أن تمنع الخراب.[16]

ويشير أوغسطين إلى اعتقاد الرومان بتدخل الإلهة في الدفاع عن روما يوم وصل إليها هنيبعل، وأنهم روعوه بالعواصف والرعد ليتراجع عنها؛ لكنه ينتقد هذا الاعتقاد من خلال ما حدث من خراب لروما في زمانه وعدم تدخل الإلهة في منع ما جرى.[17]

ليست الإلهة هي السبب في بقاء الدول وعظمتها وأنصارها، فالمهزومون أيضا لهم آلهة، فلماذا لا يتدخلون لمساعدتهم؟[18]

ولكن أوغسطينوس – وبالرغم من نقده لتدخل الإلهة عند الرومان– يبقى يؤمن بتدخل الإله الحق في مجرى الأحدث والتاريخ: "ما من إنسان يملك إلا بمساعدة إلهية".[19]

يذهب أوغسطين إلى أن تكريم الإلهة لا يمنع من وقوع البؤس والهزيمة[20].

وانتقد آلهة الرومان، لأنهم لا يستطيعون منع التمزق والخراب[21]، ويرى أن هؤلاء الآلهة لم يكونوا سببا في عظمة روما؛ لأنهم أضعف من أن يفعلوا ذلك، وهو في الوقت ذاته يستغرب من اتهام الوثنيين المسيح بأنه سبب الكوارث التي تحل بروما، ويصفه بالوقاحة والجنون.[22]

ج- طبيعة الإنسان والخطيئة

الأصل في طبيعة الإنسان الحرية والبر؛ لأن "النظام الذي وضع الله الإنسان فيه عندما خلقه ما جعله عبدا لإنسان آخر أو للخطيئة، لكن عقاب العبودية وضعته الشريعة التي ترعى النظام الطبيعي وتحرم مخالفته".[23]

وبالرغم من حدوث تعديل على نظام الطبيعة بعد الخطيئة فإن الإنسان يبقى قادرا على الرجوع إلى قوانين تلك الطبيعة الأولى عندما يتخلص من غرائزه الفاسدة، "ويتم ذلك من خلال الخلود، والذي يغير قابليتها للفساد في ذاك السلام النهائي الذي هو موضوع برنا على هذه الأرض وغايتنا المنشودة".[24]

جلبت الخطيئة الموت والفساد إلى العالم خلافا لما كان عليه قبل الخطيئة: "الموت لم يكن من طبيعة جسم الإنسان لأن "جسم الإنسان خلق في ظروف مختلفة قبل الخطيئة؛ أي أنه كان قادرا على ألا يموت، ومنذ أخطأ أصبحت الطبيعة غير قادرة على أن تَحيا إلى الأبد"[25]، فالحالة التي كان يعيشها الإنسان في الفردوس كانت بعيدة عن حتمية الموت...وكما أنه ليس مستحيلا على الله أن يخلق ما أراد من الطبائع فهكذا لا يستحيل عليه أن يغيرها....ويستدل أوغسطين على تغير القانون الطبيعي من خلال الأحداث العجائبية المدعوة أقزاما وغرائب.[26]

ويشير أوغسطين إلى علاقة بين تغير طبيعة الإنسان والخطيئة لا يتنافى مع العدل الإلهي: "إننا ندرك أن العبودية فرضت على الخاطئ بعدل".[27]

ثانيا- فلسفة التاريخ عند أوغسطين

تتلخص فلسفة التاريخ عند أوغسطين في؛ أن العالم منذ خلقه الله وهو في صراع بين نوعين من الحب: حب الإنسان لله و حب الإنسان لنفسه. لهذا انقسمت المدينة إلى مدينتين: مدينة أرضية، ومدينة سماوية. وانقسم التاريخ إلى تاريخ دنيوي وتاريخ مقدس والإمبراطورية البابلية والإمبراطورية الرومانية هما نموذجا الدولة الدنيوية، وأورشليم هي مقام المدينة السماوية.[28]

اتجهت عناية أوغسطين بفلسفة التاريخ والسياسة في الدور الثالث من حياته على وجه التخصيص، لأن المشاكل السياسية كانت تتخبط فيها الإمبراطورية الرومانية التي كانت على وشك السقوط.[29]

وفي سنة 410م إستولى عليها ألرك ALARIC زعيم القوط الغربية WIZIGOTHS، فلما صارت الإمبراطورية الرومانية إلى هذا الإنحلال ثار الناس على المسيحيين لأنهم قالوا – كما هي الحال باستمرار في التاريخ كله– إن السبب في هذا الإنحلال هو عدم الإيمان بالآلهة اليونانية القديمة، أو انحلال عروة الدين اليوناني في نفوسهم. فقامت حملة عنيفة على المسيحيين باعتبارها دين إفساد، فانبرى أوغسطين يعارض هذه الحملة، ويصور التاريخ تصويرا جديدا، فيقدم لنا نظرة في التاريخ العام وفلسفة في الحضارة على وجه ممتاز.

وكانت هذه المحاولة للنظر في التاريخ نظرة شاملة. وعن هذه المحاولة كتب أهم كتبه" مدينة الله"؛ وفيه يتناول جميع مظاهر الحياة الروحية و العامة، من سياسية ودينية وعلمية وفنية، على طوال التاريخ محاولا أن يستخرج من هذا نظرة في التاريخ، ويعنينا هنا أن نقول: إن هذه النظرة تجعل الإنحلال في الحضارات مصدره ابتعاد الناس عن المعين الأول للحضارات؛ أي العصر الذي سادت فيه اليهودية والمسيحية باعتبارهما دينا واحدا أو يعبر عن شيء واحد.[30]

ويتحدث أيضا عن الدولة، فيقول إن الدولة لا تنشأ عن عقد، ولا تنشأ كذلك عن خطايا الناس؛ وإنما تنشأ عن الغرائز الموجودة في الطبيعة الإنسانية. ولهذا فالدولة ضرورية وليست شيئا عرضيا.[31]

فالمثل الأعلى للدولة هو المثل المسيحي، وهذه الدولة التي يتصورها، هي التي تستمد سلطتها مباشرة من الله. ومعنى ذلك أنها لن تكون دولة علمانية خالصة، بل ستكون دينية كذلك. لكنها أيضا لن تكون دينية خالصة، بل جامعة للطابع العلماني، والطابع الديني ومعنى هذا أن الدولة سيكون من مهمتها الأصلية، ما يتصل بالحياة الدينية؛ أي أنها ستعمل من أجل تحقيق السعادة على الأرض وتحقيق السعادة في الآخرة بالنسبة للمواطنين. ومن هنا نستطيع أن نحدد العلاقة بين الدولة والكنيسة. فالأخيرة تشرف على الأولى من أجل توجيهها إلى الحياة الآخرة. والدولة تساعد الكنيسة على تحقيق أغراضها. و الظاهر من هذا أن النصيب

الأكبر هو للكنيسة. ولكن يلاحظ مع ذلك انه لم يشأ أن يفصل بين الإثنين؛ بل جعلهما مرتبطتين تمام الإرتباط. فعن هذا الإرتباط الوثيق يمكن أن يقوم السلام على الأرض.[32]

المحور الثالث: "قواعد الفكر السياسو-لاهوتي لمدينة الله عند أوغسطين"

ويتكلم هذا المحور حول قواعد الدولة أو كما يسميها أوغسطين "مدينة الله" وفيه عدة نقاط أساسية هي:

أ- الله والقوانين الاجتماعية

لم يترك الله المجتمعات الإنسانية دون قوانين تنظم حياة الناس، وتضبط أخلاقهم فالله يضبط بيده ممالك الأرض كلها، وقدم مساعدته للإمبراطورية.[33]

ولا يقتصر عمل الله على خلق الطبيعة؛ بل يتجاوز ذلك إلى تدخله في حركة الشعوب غير المؤمنة: "أمد الله الأحدُ -إله البر والحق- الرومان بعون منه، فرفعوا بناء عظمتهم الفضيل على أخلاقية المدينة الأرضية".[34]

والله يبقى حاضرا في حياة الإنسان بعنايته وشرائعه الأخلاقية خلافا لآلهة الرومان التي تركت خدامها دون قوانين في ظلام[35]، وهم لا يبالون بتنظيم حياة الشعوب سكان المدن وضبط أخلاقهم حتى لا تصيبهم الويلات.[36]

ب- قانون الصراع

ما تعيشه الإمبراطورية الرومانية من حروب وصراعات جعل أوغسطين يهتم بالأسباب التي أدت إلى تلك الصراعات وعلاقتها بالآلهة والأسباب الإنسانية والأخلاقية، ومن أبرز ملامح أفكاره حول الصراع اعتقاده أن الصراع بين البشر ينضوي تحت تقدير الله: "العناية الإلهية التي تتخذ الحرب سلاحا للإصلاح وسحقا للفساد البشري، وإذ تختبر بتلك الضيقات النفوس

البارة والصدّيقة تؤهلها - بعد الامتحان- إلى مصير أفضل".[37]

ولا يقبل القديس أوغسطين بالحرب على إطلاقها؛ بل نجده يذهب إلى أن الحرب ليست

مقصودة لذاتها، وإنما هي اختبار للأبرار، وتهدف إلى تحقيق الإصلاح وإزالة الفساد.

والصراع بين الناس يحدث عندما تطغى مشاهد الظلم والعنف، ويبتعد العقل والعدالة بين الناس، وتسيطر شهوة التغلب عليهم.[38]

كما يرفض أوغسطين الأمور التي تهدف إلى التسلط والظلم: "تَقَاتُل الأمم وتَسلُّط الواحدة على الأخرى والتوسع على حساب الآخر بنظر الأشرار سعادة، أما في نظر الصالحين فهو حاجة أليمة، ويزداد الألم عندما يصبح الظالمون أسيادا على المظلومين".[39]

ج- أسباب الازدهار والسقوط

يشير القديس أوغسطين إلى عدة أسباب للازدهار والانحدار؛ فالازدهار قد ينتج الجشع والدعارة وغيرها من أشكال الفساد الأخلاقي الذي يؤدي إلى انحلال الدول وهزيمتها، ويؤكد

على أن الخراب الأخلاقي أشد هولا من سيف العدو.[40]

الفساد الديني أدى إلى الفساد الأخلاقي، والفساد السياسي أدى إلى استسلام الشعب إلى نزواته، ولم يعد يطالب الدولة بإقامة العدل وصيانة حقوق الإنسان.

ومن أسباب الهزيمة الفساد الناتج عن الشعور بالنصر: "أخذت روما تغرق في الفساد نتيجة النصر والأمان، وهو الذي رزحت تحت شروره".

وكذلك انفلات الحرية التي تحولت إلى شغب وفساد، فهذه الحرية كانت "وباء وشغبا وانحطاطا وفسادا".[41]

د- أسباب تقدم الدول

من أسباب الازدهار عند القديس أوغسطين العدل: "من العدل أن يكافأ الإنسان على أعماله الصالحة ويعاقب على خطاياه".[42]

الالتزام بالوصايا الإلهية التي جاءت بها الأنبياء والإنجيل وأعمال الرسل حول العدل

والاستقامة توصل إلى الدولة إلى السعادة في الحياة الحاضرة وفي الحياة الأبدية.

ونجده يعرف العدالة بمعناها السلوكي الأخلاقي بأنها"تعطي كل ذي حق حقه"، وهو بذلك

يعطي لها مجالا عاما سواء تعلق الأمر بحقوق الخالق أم المخلوق.[43]

وينتقد أوغسطينوس مفهوم العدل الذي يشير إليه المفكرون الرومان، والذي يطلق عليه تسمية "العدالة الطبيعية"، ويبرر نقده ذاك بوجود أساطير منافية للعدالة في معتقدات الرومان.[44]

والعدالة الحقيقية عند أوغسطين لن تكون إلا في مدينة الله التي أسسها المسيح: "العدالة الحقيقية قائمة فقط في هذه المدينة التي أسسها وملك عليها المسيح".[45]

المحور الرابع: أبعاد الفكر الأوغسطيني على المستوى العالمي وأهم من كتب عنه"

ونحلل في هذا المحور تأثير فكر أوغسطين وإرهاصاته على الحوار بين الأديان العالمية، ثم أهم الكتب والتآليف والحركات التي اعتنت بفكره وكتبت عنه في العالم، وأخيرا من أهم أقواله.

أولا- مفهوم الحوار وإرهاصاته على الحوار بين الأديان العالمية

أ- مفهم الحوار

وفي هذا المعنى جاء في لسان العرب معنى كلمة الحوار من (ح-و-ر) والمحاورة : المجاوبة، والتحاور : التجاوب، وتقول : كلمته فما أحار جوابا ، ومارجع إلي حوارا، أي ما رد جوابا، واستحاره استنطقه[46] ". ولقوله تعالى في قصة صاحب الجنتين " : قال له صاحبه و هو يحاوره [47] "أي يخاطبه ويخاصمه ويجادله[48] ، ومن المصطلحات التي استعملت في مفهوم الحوار أيضا مصطلح" الجدل" الذي هو " في الأصل فن الحوار والمناقشة، والجدلي عند أفلاطون هو الذي " يحسن السؤال والجواب ."والهدف من ذلك هو الانتقال من تصور إلى تصور، ومن قول إلى قول، قصد الوصول إلى التصورات الشاملة و المبادئ العليا. [49]" وللحوار مقدمات ينبغي أن تكون صحيحة مبنية على مناهج فلسفية علمية استدلالية أي القدرة على تقديم البراهين الصحيحة والبدائل المنطقية المقنعة .والجدل في رأي بعض الدارسين والفلاسفة هو الحركي الديناميكي، والتقدمي الفعال، التطوري

الحضاري.[50]

ب- القواعد العامة للحوار والتعايش عند أوغسطين [51]

- **أن الله** لم يترك المجتمعات الإنسانية دون قوانين تنظم حياة الناس.
- أن العناية الإلهية تتخذ الحرب سلاحا للإصلاح بشتى أنواعه وسحقا للفساد البشري.
- أن الحرب ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي اختبار للأبرار، وتهدف إلى تحقيق الإصلاح وإزالة الفساد.
- أن الصراع بين الناس يحدث عندما تطغى مشاهد الظلم والعنف، ويبتعد العقل والعدالة بين الناس، وتسيطر شهوة التغلب عليهم.
- وأيضا نجد أوغسطين يعرف العدالة بمعناها السلوكي الأخلاقي: بأنها تعطي كل ذي حق حقه، وهو بذلك يعطي لها مجالا عاما سواء تعلق الأمر بحقوق الخالق أم المخلوق.
- الدعوة إلى الالتزام بالوصايا الإلهية التي جاءت بها الأنبياء والإنجيل وأعمال الرسل حول العدل والاستقامة توصل إلى الدولة إلى السعادة في الحياة الحاضرة وفي الحياة الأبدية.

❖ وأخيرا يرى أوغسطين أنه من العدل أن يكافأ الإنسان على أعماله الصالحة ويعاقب على خطاياه.

ج- أبرز المؤسسات الداعية له في العالم الغربي :

1 - الكنيسة الكاثوليكية:

وهي الكنيسة التي اعتقدت قرارات مجمع نيقية المنعقد عام (325م)، ومقر قيادتها الفاتيكان وهو مقام البابوات في روما، وقد أعلن مجمع الفاتيكان الثاني عام 1962م الدعوة إلى الحوار بين الأديان، وأصدر النشرات والكتب الموضحة لذلك، ووضع خطة لإعداد وتدريب المحاورين النصارى، ومن تلك الكتب :

- نحو حوار مع الإسلام.
- توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين.

وقد أولى البابا يوحنا بولس الثاني، والذي تزعم رئاسة هرم هذه الكنيسة من عام 1978, الحوار بين الأديان عناية فائقة، واعتبره في إطار المهمة الأساسية للكنيسة، وهي التبشير .[52]

2- مجلس الكنائس العالمي:

يمثل هذا المجلس بقية الطوائف النصرانية غير الكاثوليكية من بروتستانت، و أرثوذكس، وقد ولد هذا المجلس نتيجة لقاءات عالمية لتلك الكنائس من أجل توحيدها، ويعتبر لهذا المجلس قوة ونفوذ تضاهي قوة الفاتيكان على الكنيسة الكاثوليكية.

وقد قام أيضاً هذا المجلس بإقامة دورات تدريبية للمنصرين للقيام بمهمة لحوار، ولكنَّه لما لم ير جدوى من ذلك مال بالحوار إلى دعوى التقارب والزمالة بين الأديان، وأدرجه ضمن إطار العلاقات الدولية للمجلس.[53]

ثانيا- أهم الكتب والتآليف التي اعتنت بفكره

- Augustine of Hippo, The Rule of St Augustine *Constitutiones Ordinis Fratrum S. Augustini (Rome 1968)*
- *The Augustinians (1244–1994): Our History in Pictures. Pubblicazioni Agostiniane, Via Paolo VI, 25, Roma, Italy.*
- *Canning O.S.A; Rev. R. (1984). The Rule of St Augustine. Darton, Longman and Todd.*

- *Ebsworth, Rev. Walter (1973). Pioneer Catholic Victoria. Polding Press. ISBN 0-85884-096-0.*
- *Eckermann, Karl W. (1999), "Augustinians", in Fahlbusch, Erwin, Encyclopedia of Christianity, 1, Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, pp. 164–165, ISBN 0-8028-2413-7*
- *Hackett O.S.A.; Michael Benedict (2002). A Presence in the Age of Turmoil: English, Irish and Scottish Augustinians in the Reformation and Counter-Reformation. Augustinian Historical Institute, Villanova University, Pennsylvania 19085 U.S.A. ISBN 1-889542-27-X.*
- *Hickey, Rev. P.J. O.S.A (1981). A History of the Catholic Church in Northern Nigeria. Augustinian publications in Nigeria, Jos, Plateau State, Nigeria.*
- *Martin O.S.A; Rev F.X. & Clare O'Reilly. The Irish Augustinians in Rome, 1656–1994 and Irish Augustinian Missions throughout the World. St. Patrick's College, Via Piemonte 60, Roma, Italy.*
- *Orbis Augustinianus sive conventuum O. Erem. S. A. chorographica et topographica descriptio.* Augustino Lubin, Paris, 1659, 1671, 1672.
- *Règle de S. Augustin pour les réligieuses de son ordre; et Constitutions de la Congregation des Religieuses du Verbe-Incarne et du Saint-Sacrament* (Lyon: Chez Pierre Guillimin, 1662), pp. 28–29. Cf. later edition published at Lyon (Chez Briday, Libraire,1962), pp. 22–24. English edition, *The Rule of Saint Augustine and the Constitutions of the Order of the*

Incarnate Word and Blessed Sacrament (New York: Schwartz, Kirwin, and Fauss, 1893), pp. 33–35.

- *Zumkeller O.S.A., Adolar (1986). Augustine's ideal of Religious life. Fordham University Press, New York.*
- Zumkeller O.S.A., Adolar (1987). Augustine's Rule. Augustinian Press, Villanova, Pennsylvania U.S.A.

ثالثا- أشهر أقوال القديس أوغسطين [54]

أثبت فيَّ يا رب لئلا أقع- أعطني يا رب أن أعرفك كما تعرفني أنت- إلهي أراك ناظرًا نحوى دائمًا حتى كأنه لا يوجد في السماء ولا على الأرض خليقة سواي- إن الذي أسرهم جمال هذه الحياة وأهانوك يا رب قد زالوا معها- هلكت أنا الإنسان أن أصل إلى ما هو فوق نفسي إذا لم أتحرر أولًا من ذاتي...- لا شيء يخيفني يا رب لأنك أقوى من الكل- أيها القادر يا من دعوتني ربّ نفسي تلطخت بالإثم، ولكنها تصبح جميله إذا أحَبتك- ربّ قد تأخرت كثيرًا في حبك أيها الجمال الفائق في القدم والدائم إلى الأبد- ربّ كنت معي لكن بشقاوتي لم أكن أنا معك، من الفردوس أعلنت المرأة الموت لرجلها، وفي الكنيسة أعلنت النساء (مريم) الخلاص للرجال- أن تعلمت أن تصلى من أجل أعدائك، فإنك على طريق الربّ تسير- تقرأ فيتحدث الله إليك، وتصلى فتتحدث أنت إليه- الويل لك إذا تمسكت مما يزول فإنك تزول معه.

الخاتـمة

ختاما نقول بأن القديس أوغسطين كان يهتم بإقامة الإمبراطورية الرومانية على أساس الديانة

المسيحية بالرغم من أنه كان يفضل ويهتم بدولة الآخرة على الدولة الدنيوية. و يرى في " مدينة الله " أنه لا بد من الدفاع عن السلطة الحاكمة التي تخضع و تعمل وفق السلطة الروحية للكنيسة و ذلك لأن الله يرغب في تحقيق الوحدة المسيحية . كما يرى بأن الكنيسة هي التي تحرر البشرية من الذنوب و الأعمال اللاأخلاقية، و تسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية و السياسية و يرى أيضا بأن الإنسان له محبتان محبة الذات و محبة الله ونشأت مدينتان – ترجع إليهما سائر المجتمعات البشرية – وتتمثل في المدينة الأرضية والمدينة السماوية أي مدينة الله، حيث يرى بأن الأولى شريرة سلبية ناقصة والثانية خيرة إيجابية كاملة وبين هاتين المدينتين حرب وسوف يظل قائما حتى نهاية العالم، ويفصل المسيح عليه السلام بينهما في النهاية و قال دانينغ في كتابه "

تاريخ النظرية السياسية:"إن الآراء التي نشرها أوغسطين في كتابه " مدينة الله " تحتوي على التاريخ الإنساني برمته ، وعلى اللاهوت والفلسفة.

[1] بدوي عبد الرجمن، موسوعة الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ج1، ص: 247.

[2] الخضيري زينب محمود، لاهوت التاريخ عند أوغسطين، ط1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1997، ص: 13.

[3] حنفي حسن، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط (أوغسطين– أنسم – الإكويني)، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، القاهرة، ص: 11.

[4] بدوي عبد الرحمن فلسفة العصور الوسطى، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، 1978، بيروت، ص: 17.

[5] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج1، ص: 248.

[6] Jean-Felix Nourrisson, La Philosophie de St Augustin, 1ère éd, Didier et Cie , Paris, P : 28.

[7] J. Martin, Saint Augustin, 2ème éd, Alcan, Paris, 1923, P : 17.

[8] Ibid, P:22.

[9] أوغسطين، مدينة الله، ترجمة: الخور أسقف يوحنا الحلو، ط2، دار المشرق، بيروت، 2006، ج1، ص: 354.

[10] أوغسطين، مدينة الله، ج1، ص: 234.

[11] المصدر نفسه، ج1، ص: 355.

[12] المصدر نفسه، ج1، ص: 134.

[13] المصدر نفسه، ج1، ص: 185.

[14] المصدر نفسه، ج1، ص: 207.

[15] المصدر نفسه، ج1، ص: 239.

[16] المصدر نفسه، ج1، ص: 146.

[17] المصدر نفسه، ج1، ص: 149.

[18] المصدر نفسه، ج1، ص: 175.

[19] المصدر نفسه، ج1، ص: 173.

[20] المصدر نفسه، ج1، ص: 33.

[21] المصدر نفسه، ج1، ص: 165.

[22] المصدر نفسه، ج1، ص: 219.

[23] المصدر نفسه، ج3، ص: 142.

[24] المصدر نفسه، ج3، ص: 165.

[25] المصدر نفسه، ج3، ص: 274.

[26] المصدر نفسه، ج3، ص: 277.

[27] المصدر نفسه، ج3، ص: 141.

[28] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة ، ج1، ص: 252.

[29] بدوي عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، ص:37.

[30] محمد وقيع الله أحمد، مدخل غلى الفلسفة السياسية (رؤية إسلامية)، ط1، دار الفكر، دمشق، 2010، ص: 332.

[31] بدوي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص: 38.

[32] المرجع نفسه، ص: 39.

[33] المصدر نفسه، ج1، ص: 58.

[34] المصدر نفسه، ج1، ص: 260.

[35] المصدر نفسه، ج1، ص: 66.

[36] المصدر نفسه، ج1، ص: 69.

[37] المصدر نفسه، ج1، ص: 10.

[38] المصدر نفسه، ج1، ص: 187.

[39] المصدر نفسه، ج1، ص: 56.

[40] المصدر نفسه، ج1، ص: 152.

[41] المصدر نفسه، ج1، ص: 238.

[42] المصدر نفسه، ج1، ص: 116.

[43] المصدر نفسه، ج1، ص: 83.

[44] Zumkeller O.S.A Augustine's ideal of Religious life. Fordham University Press, New York, 1986, p: 301.

[45] أوغسطين، مدينة الله، ج1، ص: 94.

[46] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، 1412هـ، ج5، ص: 297.

[47] سورة الكهف: 34.

[48] العسال أحمد محمد، حوار الحضارات، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996، ص: 9.

[49] صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ط1، دار الكتاب اللبناني، 1979، بيروت، ج1، ص.ص: 292-291.

[50] صليبا جميل، المرجع نفسه، ج1، ص: 292.

[51] Augustine of Hippo, The Rule of St Augustine Constitutiones Ordinis Fratrum S. Augustini,1st Ed, Rome 1968, p:211-218.

[52] الخزندار سامي، المسلمون والأوروبيون (نحو أسلوب أفضل للتعايش)، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1997 ، ص: 60.

[53] حجازي أحمد محمد، الأديان والسلام العالمي، ط1، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، البحرين، 1975، ص: 92.

[54] القمص أثناسيوس فهمي جورج، مدخل في علم الآبائيات: الباترولوجي، أوغسطين (سيرة – تعاليم – أقوال)، ط1، مكتبة الكتب المسيحية، القاهرة، 1988م، ص: 108-110.